الباب الثالث

احتلال مصر

لم يكد يحضر الأسطولان الإنجليزي والفرنسي إلى مياه الإسكندرية حتى أخذت الدولتان تخاطبان الحكومة المصرية بلغة التهديد والبلاغات الرسمية، ثم تقدم قنصلا الدولتين إلى البارودي بمذكرة مشتركة في (7 رجب 1299 هـ = 25 مايو 1882 م) يطلبان فيها استقالة الوزارة، وإبعاد عرابي وزير الجهادية عن القطر المصري مؤقتًا مع احتفاظه برتبه ومرتباته، وإقامة علي باشا فهمي وعبد العال باشا حلمي وهما من زملاء عرابي وكبار قادة الجيش في الريف مع احتفاظهما برتبتيهما ومرتبيهما.

كان رد وزارة البارودي رفض هذه المذكرة باعتبارها تدخلاً مهيناً في شئون البلاد الداخلية، وطلبت من الخديوي توفيق التضامن معها في الرفض؛ إلا أنه أعلن قبوله لمطالب الدولتين وإزاء هذا الموقف قدم البارودي استقالته من الوزارة، فقبلها الخديوي.

الحرب الإنجليزية المصرية (1882)35

تطورت الأحداث بسرعه في صيف عام 1882 ومع ظهور الأسطول البريطاني الفرنسي المشترك في مياه الإسكندرية، ازدادت سخونة الأحداث ووجدت إنجلترا وفرنسا في أحداث الإسكندرية فرصة سانحة للتدخل واتهمتا عرابي في التسبب في حدوث هذه الأحداث حيث اعتبرتاه

المسئول عن تحريض المصريين ضد الأجانب، ومن الغريب أن ذريعة الإنجليز لغزو مصر كانت الإرهاب.

حادثة الإسكندرية

اشتكت بريطانيا من قيام مصر بنصب مدافع على أسوار قلعة الإسكندرية، وطالبت مصر بتسليم القلعة، وذلك في 7 يوليو 1882، وفي 12 يوليو بدأ الإنجليز فى مهاجمة الإسكندرية ونزلت قواتهم إليها في اليوم التالي، بعد ما سحب عرابي قواته إلى كفر الدوار للتحصن بها نظراً لعدم القدرة على الدفاع عن الإسكندرية ،واعلن الخديوى توفيق في عرابى باشا متمرداً، واستقبل في قصر الرمل بالإسكندرية قائد الأسطول البريطاني، معلناً انحيازه الواضح والصريح إلى الإنجليز، مطالباً عرابي بإنهاء التحصينات في كفر الدوار وتسليم نفسه .

يعتبر يوم الثلاثاء الموافق الحادى عشر من يوليو سنة 1882م من الأيام المشهودة فى مصر بوجه عام وعلى الإسكندرية بوجه خاص إذ شهد هذا اليوم قيام بوارج الأسطول البحرى البريطانى بالعدوان على الإسكندرية وضربت بمدافعها حصونها المختلفة وفى هذا اليوم المشهود قام الجيش المصرى بواجبه فى الدفاع عنها بكل بسالة وشجاعة وسانده شعب الإسكندرية بكل طاقاته وإمكاناته .

وكانت مصر تشهد قيام الثورة العرابية التي كانت تعبر عن رغبة الجيش والشعب فى التخلص من الظلم والاستبداد والتدخل الاجنبي فى شئون البلاد وكانت الإسكندرية لها موقف حازم فى تأييد الثورة العرابية بكل ما كانت تملك من وسائل التغبير وعندما زاد الخلاف بين الوزارة المصرية والخديو توفيق اعتبرت انجلترا وفرنسا هذا العمل تهديداً لمصالحها الحيوية بمصر وقررتا إرسال أسطولهما إلى الاسكندرية على أثر ما بلغهما من اشتداد الخلاف الذى اعتبر من جانبهما ثورة من قبل العرابيين تستدعى التدخل وقررتا التدخل العسكرى على أن ترسل كل منهما ست بوارج إلى ميناء الإسكندرية وقد أدى تتابع دخول البوارج الانجليزية إلى الاسكندرية إلى قلق الراى العام المصري وقد دخلت الى الاسكندرية فى يوم الجمعة التاسع عشر من مايو 1882م وما ان استقرت الدولتين على الاسكندرية وأخذتا تتدخلان تدخلاً سافراً فى شئون البلاد .

كان من الطبيعى ان تقوم مظاهرات عديدة حتى حدثت مذبحة الإسكندرية التى عانى فيها الأجانب والسكان على السواء وكثر القتلى من الجانبين وبلغ عدد القتلى والجرحى 49 قتيلاً منهم38 أجانب و11 من الوطنيين وعدد الجرحى 71 منهم 38 من الأجانب و33 من الوطنيين أدى هذا الحادث إلى استياء العرابيين لأنه منح انجلترا وفرنسا فرصة

للتدخل فى شئون البلاد بحجة حماية ممتلكات رعاياهما وفى أواخر مايو 1882م بدأت انجلترا تعلن عن نيتها الانفراد بالتصرف فى شئون مصر وبدأت فى حشد القطع البحرية بناء على طلب قائد اسطولها تزعمت بريطانيا جهود القضاء على عرابي بينما تراجع الدور الفرنسي المنافس التقليدي للدور البريطاني إلى الاكتفاء بالمشاهدة وسحبت فرنسا أسطولها إلى بورسعيد وانتظرت بريطانيا أي فرصة لبدء العدوان على مصر حيث أنها لم تكن مرتاحة لفكرة التدخل التركي لحل الأزمة في السابع من يوليو وجدت بريطانيا الذريعة التي كانت في انتظارها كانت الحكومة المصرية قد نصبت بعض المدافع على قلعة الإسكندرية فاعتبرت بريطانيا أن هذا عملاً عدائياً ضد حكومة صاحبة الجلالة وفي (24 شعبان 1299 هـ = 10 يوليو 1882 م) وجه قائد الأسطول البريطانى إنذاراً للحكومة المصرية إما تسليم القلعة للأسطول البريطاني وإلا سوف تضرب الإسكندرية من البحر.

مارس الخديوي توفيق لعبته المعتادة حين قابل عرابى وشجعه على مقاومة المعتدين بينما كان قد اتصل سراً بقائد الأسطول البريطاني ودعاه إلى الهجوم على عرابي لم يقبل عرابي الإنذار البريطاني وانتظر تنفيذ البريطانيين لتهديدهم.

وفى 4 يوليو 1882م أرسل الاميرال سيمور إلى الاميرالية البريطانية برقية يقول فيها انه سيبدأ فى ضرب الاسكندرية بعد أربعة وعشرون ساعة ما لم تسلم الحصون القائمة فى شبه جزيرة رأس التين والحصون المشرفة على مدخل الميناء وفى يوم الثلاثاء 11 يوليو 1882م أمر الاميرال سيمور بضرب الاسكندرية فأخذ الاسطول البريطانى يقذف حممه على القلاع والحصون فى شدة وعنف بصورة لم يعهدها أهل الاسكندرية من قبل واستمر القذف من السابعة صباحاً وحتى السادسة مساءاً وكانت ذات قوة تدمير كبيرة بينما نجد أن القنابل التى كانت تدفعها الاستحكامات الساحلية ضعيفة وقصيرة المدى وسقط معظمها فى البحر قبل الوصول إلى الهدف ولم يقتصر الاسطول البريطانى على توجيه ضرباته إلى الحصون العسكرية بل امتد إلى العدوان على مدينة الاسكندرية نفسها وكان هدف البريطانيين تدميرها والحاق أبلغ الضرر بدورها ومنشآتها فأخذت قنابلهم تحصد الاهالى حصداً وتدمر البيوت فوق رؤوسهم ولم يتوقف ضرب الاسطول البريطانى إلا فى مساء يوم الحادى عشر من يوليو بعد ان استمر طوال اليوم وأتى على جميع حصون المدينة واستحكاماتها ومنشآتها وفى خلال هذا اليوم هاجر أهالى الاسكندرية وانتشروا على ضفاف ترعة المحمودية والقرى الواقعة على طريق الاسكندرية –القاهرة وقد بلغ عددهم 150 ألفا وكانوا فى حالة يرثى لها لما حل بمدينتهم وأسرهم .

وفى منتصف الساعة السادسة مساء يوم الاربعاء 12 يوليو 1882م عجزت حصون الاسكندرية عن الاستمرار فى المقاومة وأعطى الاميرال سيمور أوامره بالكف عن ضرب الاسكندرية التى أصيبت بالخراب والدمار وكانت قنابل الاسطول الضخمة تنهال على المدينة وتخترق أحياءها وتدمر المنازل من ناحية وتشعل النيران من ناحية ولم ينفرد الضباط والجنود المصريين بالدفاع عن الاسكندرية بل شاركهم أهالى الاسكندرية فقد تطوع السكندريون وقدموا ما استطاعوا من معونة وخدمات شهد بها الشيخ محمد عبده حين قال (فكان الرجال والنساء تحت مطر الكلل ونيران المدافع ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها) وأكد احمد عرابي (فى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر الحربية واعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات).

وفى اليوم السادس عشر من يوليو 1882م أرسل الاميرال سيمور بناء على اقتراح من الخديو توفيق سفينيتين إلى أبى قير للسيطرة على منطقتها إذا حاول عرابي هدم سدها وغمرها بمياه البحر وأصدر الخديو توفيق فى اليوم العشرين من يوليو 1882م أمراً بعزل عرابي من وزارة الحربية والبحرية وتعيين عمر باشا لطفى محافظ الاسكندرية بدلاً منه

وأذاع هذا الامر على شعب الاسكندرية وطالبهم بالانضمام تحت لوائه لمناصرة الجيش البريطانى والامتناع عن معاونة العرابيين ولم يؤثر ذلك على مشاعر الأمة التى انضمت كلها إلى جانب عرابي وقد استمرت التعزيزات البريطانية ترد إلى الاسكندرية وقد قامت عدة معارك فى الميدان الغربي بين الانجليز والعرابيين كانت فى جملتها فوز للعرابيين والانجليز لم يحققوا من خلالها أى نجاح حتى تمت عملية الغزو من الجبهة الشرقية وترتب عليها احتلال بريطانيا لمصر فى عام 1882م .

وعلى الرغم من الاحتلال البريطانى لمدينة الاسكندرية ورغم ما فرضه عليها من قيود فقد استطاعت أن تنهض من جديد بعد الكارثة وأن تستعيد مركزها كأهم ميناء تجارى فى مصر وكعاصمة ثانية للبلاد أما من الناحية القومية فعلى الرغم من ازدياد النفوذ الأجنبي بالمدينة وبالرغم من اتخاذها قاعدة بحرية للاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط فقد قوى الشعور بالقومية لدى أهلها وأصبحت من أكبر معاقل حركة مصطفى كامل ونضاله من أجل الاستقلال كما كان لها دورها الفاعل فى الحركة القومية فى أعقاب الحرب العالمية الاولى .

حين سمع الخديوي توفيق بانسحاب عرابي أمام الإنجليز تشجع وظهر على حقيقته حيث أعلن أن عرابي متمرداً في الرابع والعشرين من يوليو وبدلاً من أن يقاوم الخديوي المحتلين، استقبل في قصر الرمل

بالإسكندرية الأميرال بوشامب سيمور قائد الأسطول البريطاني، وانحاز إلى الإنجليز، وجعل نفسه وسلطته الحكومية رهن تصرفهم حتى قبل أن يحتلوا الإسكندرية فأثناء القتال أرسل الإنجليز ثلة من جنودهم ذوي الجاكتات الزرقاء لحماية الخديوي أثناء انتقاله من قصر الرمل إلى قصر رأس التين عبر شوارع الإسكندرية المشتعلة ثم أرسل الخديوي إلى أحمد عرابي في كفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية، ويحمّله تبعة ضرب الإسكندرية، ويأمره بالمثول لديه في قصر رأس التين؛ ليتلقى منه تعليماته صارت المواجهة مكشوفة بين كل الأطراف منذ ذلك التاريخ.

قررت الحكومة البريطانية أن تكون المواجهة شاملة وأن تكون الحرب كاملة، فجلبت مزيد من قواتها إلى الحرب وتم تحريك 15,000 جندي من مالطة وقبرص بالإضافة إلى 5,000 من الهند باتجاه مصر مما رفع تعداد قوة الهجوم على مصر إلى 30,000 جندي وضعت تحت قيادة السير جارنت ولسلي.

معركة كفر الدوار

رفض عرابي الانصياع للخديوي بعد موقفه المخزي، وبعث إلى جميع أنحاء البلاد ببرقيات يتهم فيها الخديوي بالانحياز إلى الإنجليز، ويحذر من اتباع أوامره، وأرسل إلى يعقوب سامي باشا وكيل نظارة الجهادية

يطلب منه عقد جمعية وطنية ممثلة من أعيان البلاد وأمرائها وعلمائها للنظر في الموقف المتردي وما يجب عمله، فاجتمعت الجمعية في (غرة رمضان 1299 هـ= 17 يوليو 1882م)، وكان عدد المجتمعين نحو أربعمائة، وأجمعوا على استمرار الاستعدادات الحربية ما دامت بوارج الإنجليز في السواحل، وجنودها يحتلون الإسكندرية.

كان رد فعل الخديوي على هذا القرار هو عزل عرابي من منصبه، وتعيين عمر لطفي محافظ الإسكندرية بدلاً منه، ولكن عرابي لم يمتثل للقرار، واستمر في عمل الاستعدادات في كفر الدوار لمقاومة الإنجليز وبعد انتصار عرابي في معركة كفر الدوار أرسل عرابي إلى يعقوب سامي يدعوه إلى عقد اجتماع للجمعية العمومية للنظر في قرار العزل.

في (6 رمضان 1299 هـ = 22 يوليو 1882 م) عُقِد اجتماع في وزارة الداخلية، حضره نحو خمسمائة من الأعضاء، يتقدمهم شيخ الأزهر وقاضي قضاة مصر ومُفتيها، ونقيب الأشراف، وبطريرك الأقباط، وحاخام اليهود والنواب والقضاة والمفتشون، ومديرو المديريات، وكبار الأعيان وكثير من العمد، فضلا عن ثلاثة من أمراء الأسرة الحاكمة.

في الاجتماع أفتى ثلاثة من كبار شيوخ الأزهر، وهم محمد عليش وحسن العدوي، والخلفاوي بمروق الخديوي عن الدين؛ لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده، وبعد مداولة الرأي أصدرت الجمعية قرارها بعدم

عزل عرابي عن منصبه، ووقف أوامر الخديوي ونظّاره وعدم تنفيذها؛ لخروجه عن الشرع الحنيف والقانون المنيف ولم يكتفوا بهذا بل جمعوا الرجال والأسلحة والخيول من قرى وعزب وكفور البلاد وقد قام العمدة محمد إمام الحوت عمدة الصالحية شرقية والعمدة عبد الله بهادر عمدة جهينة جرجاوية ببث الحماسة في الناس وجمع ما يستطيعون من الرجال والسلاح لدعم الدفاع عن البلاد فقد قدم العمدة عبد الله بهادر نحواً من 600 مقاتل من رجال جهينة المعروفين بالبأس والشجاعة و140فرساً و74 بندقية والعديد من الأسلحة الأخرى وكميات كبيرة من الغلال وقدم العمدة محمد إمام الحوت نحو 40 مقاتل بعددهم وعتادهم وقدم سليمان زكي حكيم من أعيان مركز طوخ 41 فرس وأحمد حسني مأمور مركز ميت غمر قدم 33 بندقية.

إغلاق ترعة السويس (اسم قناة السويس آنذاك).

لجأ الإنجليز والخديوي توفيق لمختلف الحيل لكسر شوكة أحمد عرابي ورجاله فقد صدر منشور من السلطان عبد الحميد الثاني يعلن فيه عصيان أحمد عرابي وأكد دليسبس أن الإنجليز لن يهاجموه في الجبهة الشرقية عن طريق قناة السويس لأن القناة محايدة وانضم محمد سلطان باشا صراحة إلى الخديوي توفيق ضد عرابي، وعلي يوسف وخنفس باشا وعدد من الضباط احتل الإنجليز بورسعيد وفي 21

أغسطس وصلت القوات الهندية إلى السويس وفي 25 أغسطس سقطت المحروسة.

معركة القصاصين

في 28 أغسطس 1882 أثناء تقدم الجيش البريطاني غرباً في محافظة الإسماعيلية بقيادة الجنرال جراهام حوصر هذا الأخير من قبل الأهالي العزُل فطلب الإمداد بمزيد من الذخيرة في الساعة 4:30 عصراً فوصلته الساعة 8:45 مساء مما مكنه من القيام بمذبحة كبيرة بين الأهالي بعد أن جاء الجيش البريطاني من الإسماعيلية اشتبك مع الجيش المصري في معركة حامية عند القصاصين وقد كاد الجيش المصري أن ينتصر لولا إصابة القائد راشد حسني.

معركة التل الكبير

وقعت معركة التل الكبير في 13 سبتمبر 1882 (الموافق 29 شوال 1299 هـ) الساعة 1:30 صباحا واستغرقت أقل من 30 دقيقة فقد فاجأ الإنجليز القوات المصرية المتمركزة في مواقعها منذ أيام وكانت نائمة وقت الهجوم وألقي القبض على أحمد عرابي قبل أن يكمل ارتداء حذائه العسكري حسب اعترافه أثناء رحلة نفيه إلى سيلان.

احتلال مصر الحرب الإنجليزية المصرية (1882)35

حادثة الإسكندرية36

معركة كفر الدوار42

معركة القصاصين45

معركة التل الكبير45

الخيانة

واصلت القوات البريطانية تقدمها السريع إلى الزقازيق حيث أعادت تجمعها ظهر ذلك اليوم، ثم استقلت قطار سكك حديد مصر إلى القاهرة التي استسلمت حاميتها بالقلعة بقيادة خنفس باشا عصر نفس اليوم وكان ذلك بداية الاحتلال البريطاني لمصر الذي دام 74 عاماً ؛ فقد غادرت بعد ذلك القوات البريطانية في 18 يونيو 1956 بعد توقيع معاهدة 19 أكتوبر 1954 مع جمال عبد الناصر: (التي تنص على جلاء القوات من قناة السويس خلال عشرين شهراً).

ما بعد انتهاء المعركة

بعد دخول الإنجليز القاهرة في 14 سبتمبر 1882 ووصول الخديوي قصر عابدين في 25 سبتمبر 1882 تم عقد محاكمة لعرابي وبعض قادة

الجيش في المعركة وبعض العلماء والأعيان وتم الحكم عليهم في 3 ديسمبر 1882 بالنفي إلى جزيرة سرنديب سيلان أو سريلانكا حالياً.

بعد المعركة قال الجنرال جارنت ولسلي قائد القوات البريطانية أن معركة التل الكبير كانت مثالاً نموذجياً لمناورة تم التخطيط الجيد لها مسبقاً في لندن وكان التنفيذ مطابقاً تماماً كما لو كان الأمر كله لعبة حرب إلا أنه أردف أن المصريين أبلوا بلاءً حسناً كما تشير خسائر الجيش البريطاني اختار ولسلي الهجوم الليلي لتجنب القيظ ولمعرفته بتفشي العشى الليلي بشكل وبائي بين الجنود المصريين إلا أنه لاحظ أن الجنود النوبيين والسودانيين لم يعانوا من هذا المرض.

<u>نهاية الثورة العرابية وأسباب فشل مقاومة عرابى :</u>

1- **خيانة الخديوي توفيق: فقد ساند التدخل الأجنبي في شئون مصر منذ بداية توليه.**
2- **خيانة ديليسبس: صاحب شركة قناة السويس، الذي أقنع عرابى بعدم ردم القناة لأن الإنجليز لا يستطيعون المرور عبرها بدعوى أن القناة محايدة، لكنه سمح للإنجليز بالمرور، ولو ردمت القناة لما دخل الإنجليز مصر.**
3- **خيانة بعض بدو الصحراء الذين أطلعوا الإنجليز على مواقع الجيش المصري.**

4- خيانة بعض الضباط خاصة علي يوسف، وقد ساعدوا الإنجليز على معرفة الثغرات في الجيش المصري.

5- خيانة خنفس باشا قائد حامية القاهرة.

6- السلطان العثماني: أعلن عصيان عرابى في 9 سبتمبر 1882 وهو وقت حرج جداً، وكان ذلك بتحريض من إنجلترا؛ جعل الكثير من الأشخاص ينقلبون ضده.

7- قوة أسلحة الإنجليز.

8- عنصر المفاجأة الذي استخدمه الإنجليز.

المحاكمة

واصلت القوات البريطانية تقدمها السريع نحو الزقازيق حيث أعادت تجمعها ظهراً ثم انتقلت إلى القاهرة التي استسلمت حاميتها بالقلعة عصر نفس اليوم وكان ذلك بداية الاحتلال البريطاني لمصر .

أما عمن ساندوا عرابي أو قاتلوا معه أو حرضوا الجماهير على القتال من العلماء والعمد والأعيان فقد كان الحكم أولاً بقتل من أسموهم رؤوس الفتنة من هؤلاء وعزل الباقين ثم خفف لعزل الجميع فعزلوا من مناصبهم وجردوا من نياشينهم وأوسمتهم.

النفي إلى سرنديب (سريلانكا حاليا)

قام الأسطول البريطاني بنفي أحمد عرابي وزملاؤه عبد الله النديم ومحمود سامي البارودي إلى سريلانكا سيلان سابقاً حيث استقروا فى مدينة كولومبو لمدة 7 سنوات بعد ذلك نقل أحمد عرابي ومحمود سامي البارودي إلى مدينة كاندي بذريعة خلافات دبت بين رفاق الثورة وتمت عودة أحمد عرابي بعد 20 عاماً ومحمود سامى البارودي بعد 18 عاماً. وعاد عرابي بسبب شدة مرضه أما البارودي لاقتراب وفاته وإصابته بالعمى من شدة التعذيب ولدى عودته من المنفى عام 1903، أحضر أحمد عرابي شجرة المانجو إلى مصر لأول مرة.